علاقة السارد بالشخصيات في روايات امجد توفيق

أ.م.د. راسم احمد الجرياوي الباحثة. زينب طالب راضي

كلية التربية الأساسية _ جامعة بابل

Zainb.radi.h21bed81@student.uobabylon.edu.iq

الملخص :

يقوم هذا البحث على دراسة علاقة السارد بالشخصيات في روايات امجد توفيق باعتبار السارد عنصراً مهماً من عناصر السرد (الزمان , المكان , الحدث , الراوي , الشخصيات) , وان مشاركة السارد في الروايات تارة يكون مجرد مراقب للأحداث , وتارة يكون شخصية فعالة في الرواية , مما يتيح له ان يتدخل في سيرورة الاحداث عن طريق بعض التعاليق او التأملات . و يفترض البحث ان الروائي امجد توفيق يخلق عالماً روائياً تقع فيه احداث الرواية .

حيث انصرفت الدراسة لاستنطاقها والبحث فيها عن الية توظيف السارد وحركته داخلها واشكال حضوره , فالسارد ظاهرة فنية مهيمنة على النص.

الكلمات المفتاحية: (السارد بالشخصيات، روايات امجد توفيق).

The relationship of the narrator with the characters in the novels of Amged Twfiq

Dr. Rasem Ahmed Al- Gerawi

Researcher :Zainab Talib Radi

Colleg of basic education\ university of Babylon

Abstract:

This research is based on studying the relationship of the narrator with characters in the novels of Amjad tawfiq , considering element of the narrator. Interfering in the course of events , the research assumes that the novelist created a wonderful fictional world in which the events take place.

Keywords: (Sisters with characters, Amjad Tawfiq's novels).

- **علاقة السارد بالشخصيات في روايات امجد توفيق:**

لعله من المجدي ان نقف لمعرفة ماهي البنية السردية ؟ قبل معرفة علاقة السارد بالشخصيات في روايات امجد توفيق , فالبنية السردية تشكل من ثلاثة مكونات هي:

الراوي – المروي– المروي له.

فالراوي : هو الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء أكانت حقيقة أم متخيلة ، ولا يشترط فيها أنّ تكون اسماً معيناً، فقد يقنع بضمير ما أو يرمز له بعرف.

المروي: هو كل ما يصدر عن الراوي، وينتظم لتشكيل مجموع من الاحداث تقترن بأشخاص، ويؤطرها فضاء من الزمان والمكان(١).

واما المروي له: فهو الذي يتلقى ما يرسله الراوي، والراوي يكون متخيلاً من قبل الروائي فهو لا يتكلم بصوته ، ولكنه يفوض (الراوي) بتوجيه إلى قارئ تخيلي. وإنّ هذا الراوي يكون بمثابة (الانا الثانية للروائي) وقد يكون شخصية من شخصيات الراوية.

فالروائي: هو الكاتب خالق العالم التخيلي، وهو الذي يختار الراوي، ولا يظهر ظهوراً مباشراً في النص الروائي.

اما الراوي: فهو أسلوب صياغة، أو أسلوب تقديم المادة القصصية وقناع من الأقنعة العدة التي يتخفى الروائي خلفها في تقديم عمله السردي(٢)

وقد أدى التغيير الذي طرأ على طبيعة الراوي إلى تطور واضح في تقنيات صياغة المادة القصصية في الرواية الحديثة.

وان اختفاء الروائي في الرواية نتيجة التطور في تقنيات صياغة المادة القصصية التي تنادي بنفي الشخصية .

وقد كان فولتير اول من نادى بهذا المبدأ حين قال :" يجب ان يكون الروائي كالله في الكون حاضر غائب"(٣).

لذلك حظي الروائي باهتمام بين النقاد والمبدعين على السواء, لأهميته في الخطاب الروائي ,فبموقعه يتحدد شكل الرواية .

اما المروي له فهو المتلقي او القارئ

, فالراوي هو كائن من ورق, فيفترض وجود مروي له, انطلاقاً من مبدا ان أي خطاب لابد من ان له مخاطب. (٤)

فالقارئ اصبح جزء من التجربة الروائية بقدر تفاعله معها, وهذا مانجده في روايات امجد توفيق , فقد اوجد شخصيات رواياته سواء كانت رئيسية ام ثانوية بصورة منتظمة من راوٍ ومروي ومروى له, ففي رواية برج المطر نجد الراوي خيالي وليس احد شخوص الرواية .

فقد ركز على حكاية الطفل الصغير الملقب ب" الطائر" بزمنه الطفولي والذي تداخلت فيها شخصيات المبئر والمبار, وقد سوغ الروائي هذا التداخل تحت وظيفة الراوي والبطل. فيبتعد السارد ليترك الحوار بين الشخصيات , نستشف عبره الاحداث .

((ماذا حدث؟

وباي حق اتحدث عن الصغير الذي كبر؟؟

اختياراته , قدراته, احساساته, بمثل هذه الالفة لا تردد ولا وجل ...

الامر بسيط لدرجة لا تصدق ..

تلتبسني روح الصغير الذي كبر عبر حاله تناسج فريدة وغريبة من نوعها..[٥]

فيقدم لنا الراوي روايته " الورقة البيضاء عبر اتجاهات ثلاثة لا غير, اتجاه علوي واتجاه سفلي, " صورة جبل ترتسم في الاتجاه الاخر"

" وصورة النهر والوادي تتم من الأعلى منها, عبر رؤية تتم من الأسفل الى الأعلى "

واتجاه افقي هو" صورة الناس ترتسم افقياً"

ومقابل هذا الادراك يدرك ان رؤيته للاشياء مختلفة عن الاخرين لانها تتم من الأعلى الى الاسفل , فلذلك لقب بالطائر, لأنه يشترك مع الطيور في معرفة الأشياء من الأعلى .[٦]

أراد الراوي ان نخرج من الحوار بين الشخصيات الى معرفة علاقتهما ببعضهما , فنلمس اجوبتنا القلقة والمتوترة بهمومنا وانشغالاتنا؟؟

فان التوتر الذي يحدث داخل النص يبدا تصاعدياً ثم يصل الى أقصاه ليبدا بالهبوط , فهو توتر من طراز خاص ينهض من احتجاج الأرض , ومن طريق الشجر , ومن تبعثر الامنيات ..انكسار المرايا , واهتزاز القيم والقواعد ونهوض الاستثناءات ....الخ.

فالروائي اخذ دور الراوي على الرغم من ان الروائي صور لنا الاحداث والابطال باستخدام ضمير الغائب هو , فانه غالباً مايحل محل الراوي , كما في الرواية:

"((بدا وعي الصغير بالاشياء يكبر ..

ويكبر احساسه بالمحيط الذي صنعه بنفسه , وبزاوية الرؤية التي اختارها , وتطور حسه في معرفة الأشياء التي تحدث ..

تطورات مهمة في تحديد نوع الطعام المعد في أي بيت , الى معرفة مشاكل البيت ...

صوت النساء..

ايهن ذات صوت جميل في الغناء , وايهن ذات لسان تسليط في الشتائم , أي البيوت غنية.."[٧]))

وقد يأتي الروائي بمثل يدخله في السياق , كما في رواية طفولة جبل : "القوة: فيض قلب قوي .. التماسك: ادراك للقوة ووعي لها"[٨]

فاذا كان العرض هو كلام الشخصيات الروائية , فان السرد هو كلام الراوي المحيط بالاحداث والعالم بها , وهو حريص على تقديمها للمروي له .

كما انه على معرفة بحاضر الشخصيات وماضيها , وسلوكها الخارجي , كما ان من وظائفه التعليق والشرح , فالتعليق كما في قوله : **((" لماذا تعمل الخبرة على تجريد الأفعال والاحاسيس من جمالها؟**

لماذا تكون الخبرة هي نتاج عرضي للزمن ؟

معادية للبراءة او التلقائية او البساطة في فهم الجمال او التعامل معه ؟

لماذا تنأى بالقلب عن مهرجان مجده ؟

ادرك الطفل وهو يستحضر قدرة شقيقه الجبل , ان الخبرة مهمومة بالتفسير والتكرار..

انها تطعن بهجة التجربة الأولى ..

و تطعن أعماق ما في الجبل , قدرته على النسيان والتي تؤهله للاستمتاع باي فعل وكانه يمارسه للمرة الأولى ..

وادرك ان وظيفة السنين , قدرتها على تغليف الأشياء بمانع للصوت او مانع للون اومانع للاحساس العميق ..

للسنوات لؤم كاتم , صوت مثبت على فوهة مسدس ..

انها تقتل صرخة الرصاصة او فرحتها في اختراق لحم حي..

ذلك ما تفعله السنوات.." [٩])).

وهكذا يتسع منظور الراوي فيشمل الجوانب الذاتية والاجتماعية , وان رؤية الراوي اما ان تكون خارجية تصف ما تراه , وتقدم الاحداث والشخصيات بوصف حيادي , والراوي فيها عليم بكل شيء يمتلك قدرة غير محدودة في كشف الأفكار السرية للابطال ويقرن بالمؤلف , وقد عرف هذا الراوي في رواية طفولة جبل . من معرفة الطفل والمحيط الذي يعيش فيه , فضلاً عن ذلك مكنونات نفسه من رغبة والم..[١٠].

او ان تكون رؤية الراوي داخلية تضفي انطباعات الراوي ووجهة نظره على الشخصيات والاحداث , وتسمى رؤيته هذه (ذاتية) , ويسمى الراوي هنا الراوي المصاحب او المشارك , وهو يستعين بضمير المتكلم (انا) , بينما يستعين الروي في الرؤية الخارجية بضمير الغائب هو في تقديمه لعالم الرواية .

اما وظيفة الراوي فقد وجدها جيرار جينيت في خمسة وظائف هي: الوظيفة السردية , والوظيفة الأيديولوجية , ووظيفة الإدارة , ووظيفة الوضع السردي , والوظيفة الانتباهية او التواصلية "[١١] .

ولا يفترض وجود هذه الوظائف جميعاً , وقد تستغرق وظيفة واحدة مجمل الحدث السردي لحكاية ما.

ولكن التنوع دليل حرية الراوي في تادية مهمات متعددة ترتفع بمستوى النص السردي الى مستوى النص المفتوح الذي يقبل التاويلات المتعددة,

فان السارد يُفتح من خلال الحوار فجوات بين الداخل والخارج، لتكشف أن الإنسان ما هو إلا نتاج بيئته التي يعيش فيها، بمحيطها وثقافتها، وبما تنتمي إليه من تاريخ وحاضر معاً[١٢]

، ان هذه التقنية في السرد تأتي لزيادة الكشف عن اضطرابات الشخصية، وحالتها النفسية، بقصد تعرية جوانب الشخصية، وارتباطها بالماضي وتأثيره عليها وكأن بنية الشكل هي التي تنطق

كما انه جعل الوظائف الراوي في ثلاث هي :[١٢]

١- الوظيفة الوصفية: وهي التي يقوم فيها الراوي او السارد بتقديم مشاهد وصفية للاحداث , والطبيعة , الأماكن , الأشخاص , دون ان يعلم عن حضوره. بل انه يضل متخفياً , وكان المتلقي يراقب مشهداً حقيقياً لا وجود للراوي فيه. وهذا ما نجده في روايتي طفولة جبل .

ومن رواية طفولة جبل " **اسند الصبي ظهره الى جدار الطين , وامسكت يداه بالرقبة الطويلة لحذائه المطاطي , وهو ينظر الى شجرة التوت العملاقة التي تشمخ في بيت المجنونة ..**

السارد هنا يصف الشخصية الرئيسية " **بارق**" وكأننا نراقب مشهداً حقيقياً للجلوس الصبي , بينما يكمل قوله السارد بوصف المكان الذي يجلس فيه الصبي ,فهو مدرك لأفكار كل الشخصيات و تحركاتها عبر النص الروائي

فيصحبنا السارد الى نهاية الرواية وهو يفسر لنا ويحلل ما غاب عنا , فيبسط هيمنته على الاحداث والشخصيات فيقف في مسار واحداً مع الشخصيات كلها لأخبار القارئ بما يلم بها من احداث

"**الجدار يواجه البيت , ويبعد مسافة عشرين متراً عنه .. اما الصبي فانه يبعد عن البيت مسافة خمسين متراً , اذ اتخذ النقطة البعيدة من الجدار مسنداً لظهره..**

يقع البيت يسار الصبي الذي يرقب ضجة افتعلتها الطيور و مخيلته , بين اغصان التوت واوراقه ..

ثم يرجع السارد بوصف شخصية أخرى وهي "**المجنونة** " , فنجد السارد متخفي ,

" **المجنونة : حلم غامض , وسؤال يعجز الصبي عن إعطاء إجابة واضحة او مقنعة عنه ..**

هي هكذا بلا مقدمات او نتائج , امرأة مجنونة , تصخ بلا سبب , وتبكي كيفما اتفق , وتشتم متى تشاء , وتضحك حيثما تشاء..

الصبي يدرك ان الامر جزء من كل.. البيت مرتبط بالمجنونة , والمجنونة مرتبطة بالشجرة , والصبي مرتبط بعالم تغسله الشمس والامطار, ليصبح ذا طاقة إضافية لابتلاع أي فهم .

فالفكرة في راسه ليست اكثر من ومضة او بريق لعيني قطة تمزق سريعاً , والفكرةو عجينة طرية لا تتماسك على شكل او لون او تكوين ..ص ٢٥

٢- الوظيفة التأصيلية : وفيها يقوم الراوي او السارد بتأصيل رواياته في الثقافة العربية والتاريخ , منها احداث للصراع القومي ويربطها بمآثر العرب المعروفة في الانتصار على الخصوم , مثل رواية الطيورة الحرة التي تحدثت عن الاستخبارات في ظل النظام السابق , والانتصارات التي حققتها الاستخبارات من امن وامان العراق , فضلاً عن ذلك الجانب المظلم في هذه الرواية وذلك من خلال المأساة والمعاناة التي عانى منها الشعب العراقي .

وبما ان السارد هو من يجعلنا نرى الاحداث , نجد الروائي يستهل روايته من النهاية حيث ينقل لنا شعور ناجي الصائغ و صديقه الوحش.

" في المنطقة التجارية من المنصور نزل الوحش ، وسار ما يقرب من عشر دقائق متنقلاً من واجهة محل الى اخرى، ومن شارع لآخر.. بعـدها وقـف واشار الى سيارة اجـرة ثالثة بالتوقف ..

اخبر سائقها ان يتجه الى شارع الكندي ، بعد دقائق معدودة وصل الوحش الى الشارع فنزل من السيارة في بقعة ليست قريبة من هدفه ، وأخذ يسير في هدوء ، ويحاول التأكد من اية امكانية للملاحقة ، ولما اطمأن تماماً، توجه الى مكتب ناجي الصائغ ، وعندما رآه ، رمى حقيبته وفتح ذراعيه ، وهو يتجه بشوق مبالغ فيه الى صديقه القديم ..

لا يتولى هذا السارد الغريب عن الرواية توضيح بعض اللقطات , والاحداث الدائرة بين الوحش وصديقه ناجي الصائغ بل يتذكرا ماضيهما معاً , فالسارد عليم بكل الاحداث في الماضي .

كان سرور ناجي حقيقياً وهو يستقبل الوحش ، ويستذكر معه ايام رحلته الى بروكسل ولقاءاته معه في بغداد .. قال الوحش :

- سألت عنك ، فعرفت انك تعمل في مكتبك هذا ، وانك محال على التقاعد ..

- نعم .. لم تعد الوظيفة تعني شيئاً .. والآن انا اكثر حرية وراحة ..

- ولكنني كنت اتوقع لك مستقبلاً باهراً ، فكفاءتك من شأنها ان تجعلك في موقع متقدم ..

- لا توجد لدي طموحات وظيفية .. لقد دمرت الحرب كل شيء ..

- نعم هذا مؤسف .. ان البلد يحتاج الى اعادة اعمار شامل في وقت يحتاج فيه الى مستلزمات علمية تقنية لتساعده في هذا..

- هذا صحيح .. متى جئت ؟ وماذا تفعل ؟
- جئت امس ، واحاول معرفة حاجتكم الى الحاسبات الحديثة، وادرس امكانية التعاون بين شركتي والمؤسسات العراقية ..
- جئت في وقتك فالحاجة اكبر مما تتصور ، وثمة رغبة حقيقية في كل ما هو تقني متقدم ، وبهذا تكون الحاسبات على رأس ما هو مطلوب في الوقت الحاضر ..
- يسعدني كلامك، انـك تمنحنـي الامـل في النجاح ..
- هذا مؤكد .. وانا اعرف ذلك من خلال عملي كسكرتير لجمعية الحاسبات العراقية ..
- حسناً .. دعني اتأمل عملك ومكتبك ..
- من الافضل ان اقوم بواجب ضيافتك يا صديقي فليس في المكتب ما يسترعي اهتمامك ، انه وسيلة لكسب الرزق لا اكثر ..

حاول الوحش ان يوحي انه متألم لما يسمع ، وبحركة شبه مسرحية ضرب على جبهته ، وهو يقول :

- ما هذا الذي اسمع .. انك تدفن مواهبك في مكتب متواضع.. لا يرضيني ذلك ، ولا يمكن ان اوافق عليه ..
- اشكرك .. ولكن هذا هو الوضع ..
- لا .. سيكون لنا وجهة نظر اخرى لمعالجته .. اخبرني عن امورك ولا بأس من ان نتناول غداءنا سوية..
- وهل كنت تتوقع شيئاً آخر ، الم تسمع بالكرم العراقي ؟
- اعرف ذلك .. وانا في شوق لوجبة عراقية ..

اتجه الوحش والصائغ الى مطعم قريب ، وهناك تبادلا احاديث عامة عن حجم التدمير الذي اصاب البلد ، والفرص التجارية المتاحة الآن بسبب الحاجة للبناء ..

استمع الوحش الى الصائغ ، وعند نقطة معينة ، نظر الوحش الى ساعته ، وقال بتصميم :

- اسمع يا صديقي ناجي ..
- نعم ..
- في المحن يعرف الاصدقاء ، والحق اني اريد ان اؤكد صداقتي بفعل ملموس ، اليس هذا ما يقوله العراقيون؟

ضحك الوحش وشاركه الصائغ في ضحكة متفائلة بما سيسمع ..

- نعم عند الشدائد يعرف الاخوان ..
- اذاً .. المطلوب منك هو الآتي : ان تعد لي ورقة تفصيلية بحاجتك من الحاسبات والمواد الاحتياطية المرغوبة في العراق ، واية امور اخرى تجدها مفيدة في ان يكون مكتبك ناجحاً ويتوفر على مادة وخبرة ..
- ولكن مثل هذا التطوير على ضرورته يتطلب اموالاً لا املكها .." ص٢٥, ٢٦.

فان هذا التقديم شد القارئ او المتلقي , وجذبه لمواصلة القراءة , فالعتبة التي يدخل بها تمثل فاصلاً بين الواقع والخيال فتجذب المسرود له داخلها .

٣- الوظيفة التوثيقية : [١٣] وفيها يقوم الراوي بتوثيق بعض رواياته , رابطاً إياها بمصادر تاريخية , زيادة في ايهام الراوي , أي انه يروي تاريخاً موثقاً , كما في رواية الساخر العظيم , الذي وظف الروائي امجد توفيق تاريخاً عظيماً وهو احتلال الموصل من قبل داعش .

" الفصل السادس والخمسون"

" يعرف العسكريون ان استحضارات أي معركة تتطلب جهودا مضنية , فهي تفوق جهود التدريب و الدورات الخاصة و مواقيت التفتيش العام , ذلك انها تضم كل شيء واي شيء ,

فمفتاح المعركة ان تكون مستعداً لها , مقللاً من حجم المفاجآت المتوقعة فيها.

وعلى الرغم من ان سيف لم يكن عسكرياً و لا خبرة لديه يمكن ان يركن اليها, فإنه كان مسؤولاً عن جهد استخباري مكثف يصب في غالبيته في خدمة الحملة الإعلامية التي يقودها دعماً لمعركة التحرير, واستعداداً لما يعقبها.

صدرت الأوامر ان تكون القوات المهاجمة كافة بانتظار ساعة الصفر , وعلى هذه القوات الانتهاء من مراحل الاستحضارات المطلوبة . "ص٦١١.

فالسارد عليم بكل الاحداث , فيتولى توضيح بعض اللقطات , والاحداث الدائرة استعداداً لمواجهة داعش , فالسارد مدرك لافكار كل الشخصيات وتحركاتها عبر النص الروائي , وهكذا يصبح السارد الى نهاية الرواية وهو يحلل و ينقل الينا ما غاب عنا , ليبتعد أحيانا ويترك الحوار يدور بين الشخصيات (العم سالم و سيف وابا علي) نستشف عبره الاحداث ,منطلقاً من كونه المؤلف الحقيقي للنص .

" ماذا اعددت ياعم سالم؟

-انا الان مقاتل, وقد زودت الجميع بأرزاق المعركة , فلا احد ينتظر مني وجبة ساخنة , ذلك ان المعركة ستسخنها له.

-ولكنها لم تبدأ بعد , فكيف تسخن ؟

-انا اتحدث عن ساعة مغادرتنا لهذا المعسكر , اما قبل ذلك فانا في خدمة الجميع .

استدعى أبو علي سيفا , كان مبتسماً فادرك سف انه يخفي شيء غير مريح ,سال؟

-ما الخبر ؟ هل تحددت ساعة الصفر ؟

-ليس بعد , لكنني كنت في حديث مع مهندس الاتصالات , واخبرني ان الموقع جاهزاً لمتابعة مجريات المعركة.

-هذا جيد.

-نعم, وهذا يعني انك ستكون مسؤولاً عنه لنكون على تواصل مستمر , وتكون لديك مادة طازجة للأعلام .

-هل تقصد اني لن أشارك في المعركة ؟

_حاشا لله , بل سيكون دورك متميزاً , وفي الموقع الذي تتولى القيادة فيه .

-انك يا أبا علي تبعدني عبر طريقتك المهذبة .

_لا , انا احدد دورك , والمكان الذي تكون فاعلاً فيه , وهو بلا يقل ابداً عن دور المقاتل الأول في الهجوم المرتقب . "ص٦١٢.

فضلاً عن ذلك كانت الغاية التي يصرح الراوي بأنه ينبغي نقلها الى السامعين بامانة وصدق ومن غير تدخل منه , وهو غير مسؤول عما يدور فيها من احداث . (١٤)

فالراوي في رواية الساخر العظيم شخصيتين هما "سيف وسعد " , فهما يرويان عن شخصية أخرى , مثل سعد يروي عن جده سليمان الازدي , وكذلك سيف يروي عن أصدقائه وزملاء عملهِ, وهكذا يشترك اكثر من راوٍ واحد في السرد, فهناك روٍ مجهول وراوٍ مشارك في الاحداث مثل " سعد وسيف" , فضلاً عن ذلك الراوي المسمى والراوي المشاهد للأحداث والراوي الذي لم يشاهد الاحداث وانما يسمع عنها ((١٥٠

ان هيئة القص تبين الراوي ومايرويه , وعلاقته بمن يروي عنهم فيتجاوز موقفاً كان يرى ان الرواية التي يكتبها الكاتب او الروائي هي تعبير عنه , وعلى هذا فأن الروائي لايمثل أي من اشخاص رواياته.

اما رواية الظلال الطويلة فان الاليات السردية التي وظفها الروائي امجد توفيق على الرغم من تنوعها , الا نها اعتمدت بشكل رئيسي على الراوي العليم , علماً ان الراوي في مفهوم الدراسات السردية " هو احد شخوص القصة او الرواية غير انه ينتمي الى عالم آخر مغاير للعالم الذي تتحرك فيه شخصياته, وليس هو المؤلف في الرواية او القصة , بل هو موقع خيالي ومقالي يصنعه المؤلف داخل النص , وقد يتفق مع المؤلف في الرواية او القصة , وقد يختلف عنه."(١٦)

ففي رواية الظلال الطويلة فنجد السارد هنا يصف الاحداث كما في قوله:

"الشجاعة الحقة لا تبحث عن شهود وتوثيق اعلان , انها شجاعة قلب جسور حقق انسجاماً صعباً وفذاً مع قوانين الغريزة والجسد , وعلاقتهما بالعقل ..

فالسارد هنا يكون على دراية وعلم بما يحصل للشخصيات او ما نسميه بالراوي العليم, فيسرد لنا الاحداث بصورة خيالية تجعل المتلقي يستمتع وكانه يشاهد فيلم , وهذا ما نجده في هذا النص الروائي :

" لو كان أي من الجالسين على سطح بيت قديم مبني من الطابوق في حي شعبي قرب نهر دجلة في بغداد واعياً او مدركاً لفعله الشخصي او ذلك الذي يرتبط بحركة مجموعته , لفقد على الفور كل ما يمتاز به او يصفه ..

خمسة رجال مدججين بالأسلحة , جلسوا على فرش ممدودة على ارض السطح تحيط بهم وسائد سرعان ما تتنقل من جهة لأخرى دون ان يكون هذا التنقل مرتبطاً بالاستلقاء او حاجة الجسم ,

انه يشبه بوصلة ما تقرأ الحالة النفسية والعصبية لهم, الحقيقة منها او تلك التي يحاولون ايهام بعضهم بعضاً بها .. ص ٢٥.

فالسارد في هذه الرواية غريباً عن الحكاية , أي انه ليس احد الشخصيات داخلها , وهو من وصفه جيرار جينيت "ب خارج القصة " (١), فنجده واحداً غير متعدد , ف يكون حلقة الوصل بيننا وبين الشخصيات .فهو يتأمل و ينقل يرداً ما يلحظه

" انهم في المكان ليسهروا , وسهرتهم تبدأ باحتساء مشروبات كحولية من قنان لم يدع أي منهم معرفة بأسمائها و أنواعها , يكفيهم ان يعرفوا انها مشروبات فاخرة تعود لأصحاب قصور فارهة هاجرة خوفاً من القتل ..ص٢٥.

فالسارد هنا يستخدم تقنية السرد لوصف المحيط عن طريق زاوية الرؤية او الموقع , لاستبطان ذوات الشخصيات , فهو يعلم ما ظهر منها وما بطن .

" عندما يتشابه الخير والشر , تفقد القاعدة قدرتها على تحمل بناء يستعصي على التقويم المقنع

كان السياسي يحدث نفسه ..

كان يعدها باتخاذ قرار ..

انه يدرك اذلك نتاج خبرته ا

ان القرار يفقد صفته دون خيارات عديدة , ودون امتحان هذه الخيارات في مصداقيتها والاسس التي تقوم عليها ..ص٤٩.

فيسرد لنا الراوي او السارد معاناة الرجل والمرأة على حد سواء ,عن طريق قصة امرأة (**انتصار**) وما عانته من ظلم واضطهاد .. الى ما أصبحت عليه من سلطة وثراء , فضلاً عن ذلك بشار عندما كان صاحب سلطة في الدولة .. ومصيره الذي يقتحم نفسه به.

فقد استخدم اليات السرد عبر كلاسيكية البناء الروائي المعتمد على" العرض , العقدة , النهاية", مع استخدامات ذكية لتقنية الفلاش باك , وخاصة عندما تتأمل الشخصيات ,

, كما في رواية الظلال الطويلة " عندما يتأمل كل من بشار والخاتون انتصار ماضيهما ومقارنته بحاضرهما .

فالروائي يتميز بنشر القيم الحق والعدالة والمساواة , وتقديم الحكمة من خلال رواياته , فقد صور لنا حياة شخوصه تصويراً دقيقاً , فرسم ملامحهم الخارجية , ونفسياتهم , واعمالهم , فضلاً عن الشخوص الاخر فقد رسمهم بصورة خاطفة ونبذة مختصرة ليميز الشخوص الرئيسية عنها.

وبما ان القص يقوم على راوٍ يأخذ على عاتقه سرد الحوادث ووصف الأماكن وتقديم الشخصيات ونقل كلامها والتعبير عن افكارها ومشاعرها , فان هناك علاقة دينامية توجد بين كلام الشخصية المنقول وكلام الراوي الناقل , وهذه العلاقة متداخلة , حيث ينقل الراوي كلام الشخصية بحذافيره , وقد يصبغه بصبغته الخاصة.

وقد يقترب منظور الراوي من منظور الشخصية , وقد يبتعد عنه, فالحوار اقرب الصيغ الى الشخصية من الزمان والمكان , والسرد يعتبر ابعد الصيغ عنه .

اما اذا ادخل قول الشخصية في سياق القصد ويتولى الراوي نقله فيحدث تداخل بين القولين , ويصبح الصوت مزدوجاً ,وقد يكون بصوت مباشر او غير مباشر , فاذا نقل الراوي كلام غيره كما هو كان فاسلوبه مباشراً, اما اذا ادخل عليه كلاماً في سياق كلامه فاسلوبه غير مباشر[١٧]

فالروايات (برج المطر, طفولة جبل , الظلال الطويلة , الطيور الحرة , الساخر العظيم , ينال) نرى ان موقع الراوي زمانياً ومكانياً من الرواية ونحدد بناء على تقسيم الشخصيات الى داخلي وخارجي , مباشر او غير مباشر, فنجد الراوي تارة يكون احد شخوص الرواية وتارة

أخرى مجهول , ففي رواية ينال نجد أبا فيصل " عبدالله" الرواي في هذه الرواية , فضلا عن

ذلك يعد احدى الشخصيات الرئيسية في رواية ينال, فياخذ على عاتقه سرد الحوادث ووصف الأماكن وتقديم الشخصيات ونقل كلامها والتعبير عن افكارها ومشاعرها .

((" من الصعب الا تثمل وانت امام جبل يتكون من صخرة واحدة عملاقة ,

جبل كبير اسود تتخلله ثقوب متنوعة وكانها بوابات لمغارات عملاقة مناسبة لايواء حيواناته تلك التي لم ارَ واحدة منها.

هذا الجبل يقع في منطقة نسيت اسمها , لكنني اعرف انها تقع في جنوب اسبانيا وعلى مسافة خمسين او ستين كيلو متر من مدينة ماربيا المشهورة .

يومها كنت برفقة عائلتي نقوم بجولة سياحية , فآثرنا النزول في مطعم يقع سفح الجبل ويشرف على بحيرة شديدة النقاء من جهة , ويوفر مشهداً من بساتين مثمرة في اخر المشهد.

حفيدتي لاحقت كلباً ابيض طويل الشعر , ذا عينين بلون لازوردي غريب,

وحين اختفت من ساحة رؤيتي , نهضت لمتابعتها لاجدها تحتضن الكلب الى جانب رجل يجلس على كرسي ويرتدي قميص ابيض على شورت ابيض ايضاً.

كانت يده تمسد ضفيرة الصغيرة , والصغيرة تمسد شعر الكلب في مشهد جميل ومنسجم..

كانت تلك بداية معرفتي بالسيد ينال الذي ينحدر من اصل عراقي))[١٨]

نجد الراوي هنا هو أبا فيصل " عبدالله" , وهو الشخصية الرئيسية في الرواية حيث ابتدا المشهد بمكان السفر ..

وكيف تعرف على ينال "تاجر السلاح" الشخصية الرئيسية ايضاً ,

" عرفني الرجل على زوجته الفرنسية التي تنحدر من أصل تونسي ، وابنته (تنال) ، حينها كان من الطبيعي أن أربط بين الاسمين للأب وابنته في مفارقة تثير جوا ساخرا .

قال الرجل :

- اسماؤنا من النوع الذي لا ينسى لكل عربي .

أجبته ضاحكا :

- لم تتركوا للآخرين أي شيء ، فبين ينال وتنال لا فرصة لأحد بنيل شيء ..

أصر الرجل على أن نتناول غداءنا سوية ، والحق أنه كان كريما خفيف الظل ، واسع المعرفة ، تشع عيناه بذكاء ملحوظ ، وحزن يخفق أحيانا في إخفائه .

ولأننا عراقيون ، فإن حديث الذكريات المشوب بحزن يتخلله ألم حاضر دائما كأغنية جنوبية تنفتح على مساحة غير محدودة من القهر ، نسينا الجبل ذا الصخرة الواحدة ، ونسينا الكلب وكان اسمه (تيكو) وجمال شعره وعينيه ، نسينا احتفال حفيدتي الصغيرة بصديقها الكلب ، لنغرق في حديث فيه من التآلف وحسن الإصغاء ، ما جعل العائلتين تعلنان احتجاجهما على الإهمال المتعمد الذي نمارسه عبر حديث جانبي لا تشتركان فيه .

بين ابتسامة اعتذار ورغبة في المواصلة ، انتهت الجلسة وتبادلنا أرقام الهواتف على أمل لقاء جديد.

ما أضحكني حقا أن أية صورة أو وجهة نظر لا تكتمل دون مشاركة النساء ، فهن الأقدر على ملاحظة التفاصيل وربط جوانب الحديث وصولا إلى فكرة عامة يعجز الرجال عن وصولها لأسباب تتعلق بطبيعة الاهتمامات وزوايا التركيز ، وبعيدا عن دقتها من عدمها فإنها تبقى جديرة بالانتباه والإعجاب ، وهذا ما حصل ..

سألتني زوجتي :

- ما هو عمل السيد ينال ؟
- لا أعرف فأنا لم أسأله .
- كل هذا الحديث الطويل ولم تتعرف على عمله ؟
- لم أكن مكلفا بذلك ، والحق أنا لست مهتما بعمله إن كان وزيرا أو أميرا أو رجلا فقيرا . لكنه ترك انطباعا جيدا لدي .

عقب ابني الذي لم يكن موجودا حين التقينا بينال وعائلته :

- هذا رجل مشهور ، إنه تاجر أسلحة ، وهو غني جدا .

قالت زوجتي :

- لم أكن أعرف بأنه رجل مخيف ، لكني عرفت من زوجته أنهم يمتلكون شركات كثيرة في أوربا ، لم تذكر شيئا عن السلاح ، لكنها ذكرت بأنه عانى كثيرا في العراق ، وتنقل في بلدان كثيرة ، وهم يقضون فترة الصيف في إسبانيا حيث يمتلكون مزرعة كبيرة ، وفيلا ، أما بقية العام فإنهم يقضونه ما بين فرنسا وبلجيكا ، وينال كثير السفر بسبب طبيعة أعماله التجارية .

قلت :

- عموما لا شأن لنا بأعماله ، التقيناه مصادفة ، وكانت فرصة طيبة ، وانتهى الأمر .

عقبت زوجتي :

- أرادت زوجته معرفة كل شيء عنك .
- وأنت وجدتها فرصة للحديث ، ربما قدمت لها صورة خيالية سيحاسبني الله عليها يوم القيامة .
- لا تكن سيئ الظن ، قلت لها بأنك رجل متقاعد وأنك أديب كتبت رواية .
- يا امرأة ، جعلتني أديبا ، إن هي إلا خربشات ، لا أذكر إني تحدثت عنها يوما ، كانت رغبة آنية وانتهت في وقتها ..
- لكن الكتاب موجود .

- نعم ، إنه يحكي خيبتي .

- لم اسمع يوما أن هناك من يتحدث بالسوء عن نفسه سواك ، ساعدني الله على تحملك .

ضحك ابني الذي يعمل طبيبا في إحدى مستشفيات المدينة ، وقال :

- لا تجعلوا من سفرة مريحة مناسبة لجدل غير مريح ، لقد كانت لمار سعيدة جدا بالكلب ، ولا تكف عن الحديث عنه .

ابني الحبيب فيصل يصر كعادته أن يكون لطيفا ، جاهزا لقمع أية بوادر لزعل محتمل ، حريصا على توفير جو مبهج لوالديه في زيارتهم له ، مقدرا طبيعة ما يعانيانه في بلدهم ، وبذلك أغبطه على قدرته ، وأحاول جهدي أن أكون مساعدا له . "ص١٢.

فالعلاقة بين الراوي والبطل علاقة " الراوي يعلم اقل ما تعلمه الشخصية "

وهذا ما جاء وفقاً لتقسيم الناقد الفرنسي جان بويون :

١_ الراوي>الشخصية " الراوي يعلم اكثر من الشخصية ."

٢_ الراوي =الشخصية " الراوي يعلم ما تعلمه الشخصية ".

٣_ الراوي<الشخصية " الراوي يعلم اقل مما تعلمه الشخصية ".

وكل علاقة سماها بويون ب الأولى " الرؤية من الوراء " , والثانية " الرؤية مع ", والثالثة " الرؤية من الخارج"[١٩]

والتي تمثلت في رواية ينال من معرفة الراوي أبا فيصل اقل من الأشخاص الاخر , فيبدا الراوي بوصف شخصيات الرواية مباشرة , ثم يبدا الشعور الصحيح , ثم تسير دونما تباطؤ , وتخيل لنا بانها شخصيات حقيقية .

ولما كان جوهر الصياغة القصصية يكمن في طبيعة الحقائق التي يتكون منها العالم , لذا اهتم النقاد بتحديد هذه العلاقة ومدى تطابق ما يحيط بعالم الراوي مقارناً بالرواية , ومهما تكن الصفة التي يمكن ان نطلقها على الشخصيات الناجحة في العمل الروائي سواء كانت حقيقية , او حية , او واقعية , فالراوي قادر على الايهام الشديد لأقناع المتلقي , وذلك لمقدرة الروائي على خلق شخصياتهِ تلك وبنائها .فتبقى الشرط الأساسي للأبداع الكاتب .وذلك عن طريق تقديم الراوي شخصياته بوسائل فنية يهدف الراوي من خلالها الى تعريف القارئ بشخصياته .

اما في رواية الطيور الحرة نجد فيها اكثر من راوٍ , لأنها رواية تعددت فيها الشخصيات , وذلك لان طبيعة الروايات التي تتناول قضايا المخابرات تعتمد على شخصيات متعددة ومتناقضة ايضاً , فالبطولة

في مثل هذه الروايات للحدث والعمل الجماعي , وتعد رواية الطيور الحرة رواية مميزة لاختلافها عن باقي الروايات الأخرى

((حفلة الثعلب ومثلث العذاب))

دارة بيضاء ترتفع على اعمدة كونكريتية مسلحة بالحديد ومغطاة بالرخام ، وتنفتح بوابتها الواسعة على درجات رخامية عشر تقود الى حديقة واسعة ، تكاد العناية بها تهتف : انها معدة لمسابقة من نوع ما ، او لتأكيد قدرة القائمين عليها في تحدي الظروف المناخية وانبات انواع عديدة من الشتلات والزهور والمتسلقات بتنسيق هو مزيج من مهارة وذوق مستندين الى خبـرة متخصصة بالحدائـق المنزلية .. "[٢٠]))

فنجد الراوي هنا في هذه الرواية مجهول وليس احد شخوصها , وربما نجد الراوي يعلم اكثر مما تعلمه الشخصيات الاخر كما في الرواية هنا:

" ((تعود الدارة لرجل اميركي من اصـل فلسطيني اسمه – صائد النقاش – وهو مقيم في – دبي – منذ مدة طويلة ، ولا احد على وجه التحديد يعلم ان كانت الدارة ملكه الخاص ام ملك الشركة التي يديرها ، وهي شركة تحمل اسم – الجهراء – متخصصة بتجارة الاجهزة العلمية والحاسبات ، ويعرف زملاؤه في المهنة انه ذو اتصالات واسعة وله نفوذ كبير ، لا يكاد يستقر في دبي اسبوعين متواليين دون ان يسافر في اعمال وصفقات متعددة ، متزوج من اميركية يقال انها كانت زميلته في جامعة بوسطن في اميركا ، وهي امرأة ليست جميلة ، وغاضبة في معظم الاحيان مما ساعد الكثير من زملائه ان يقارنوا بينه هو الذي يمتاز بالطول والبشرة البيضاء والملامح المقبولة ، وبينها هي المتعجرفة التي تمارس سيطرة تبدو غير مسوغة على زوجها ..)[٢١]

تتنوع الشخصيات مثل : صائد النقاش وزوجته فلورا , وعزيز مسؤول العاملين والتاجر العراقي مروان السعد " رجل الاستخبارات الذي يتنكر بكونه تاجر في السوق " , وكرستينا واقاربها وغيرها العديد من الشخصيات التي تدور حولهما الاحداث , ثم تنتقل الرواية الى جزء اخر من الرواية ., والتي اسماها الروائي امجد توفيق ب" الامن بعيد والخوف قريب", التي تبدا بشخصيات اخر واحداث أخرى ومنها الدكتور قاسم مدير مركز , وصديقه ناجي الصائغ , وسامي الوحش وغيرهم.

فان طريقة الرواية تمت بطريقة التقديم المباشر الاخباري او التقريري .

ان تقديم الشخصية على مسرح الاحداث في روايات امجد توفيق , تمت بأربعة طرائق هي:

١_ بوساطة نفسها

٢_ بوساطة شخصية أخرى .

٣– بوساطة راوٍ خارج الرواية .

٤_ بوساطة الشخصية من شخصيات الرواية .[٢٢]

و ارتبطت دلالة السرد بحسن الصناعة والإجادة في نقل الحوادث والأخبار وطريقة ترتيبها متتابعة متناسقة وأخلص مما سبق إلى أن السرد يعني رواية الأحداث بتتابع وتناسق،

بحيث يتم الربط بين أجزاء الكلام بشكل متقن، وذلك بتوالي حوادث و أشياء كثيرة بعضها أثر بعض السرد هو الطريق أو الأسلوب الذي يتبعه الراوي أو السارد في نقل أحداث القصة إلى المتلقي.

وبه يتم التمييز بين أنماط السرد المختلفة ، و هو مجموع الخيارات التقنية , واما أمجد توفيق فقد جسد رواياته بابعادها تجسيدا للوعي الإنساني,

لا تجد ما يعطيها صفة الحياة والسيرورة كما يعطيها السرد الروائي، فجاء السرد ليحرر الوعي من طبيعته التجريدية عن طريقه، ويكمن جمال السرد في حجم الإتاحة الجمالية والقدرة على الاستمرار، والإثارة، والجذب، والأسر في الإطار الجمالي ووصف الأماكن والأشخاص، وهو شخصية ورقية ومخلوق متبني من طرف الكاتب كما هي عناصر الرواية الأخرى،

ولا وجود للقصص من غير راو ومن غير سامع أو (قارئ) مما لا شك فيه أن السرد فعل لا حدود له: يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أم غير أدبية يبدعه الإنسان أينما وجد

ويتجلى فيه الإجادة في حبك الكلام، ومراعاة الدقة في بنائه وهو قصة فيها شخوص متنوعة، وفيها يتم التواصل بين الراوي والمروي له وهما طرفا السرد.[٣ ٢)]

الخاتمة:

بهذا نجد أن كل عمل أدبي هو عمل خالص وأصيل، وكيان جديد في عالم الخطاب، ويظل الإبداع والتجديد سلوكا تحكمه قوانين؛ كون الخيال الذي يتشكل فيه العمل الإبداعي لا يأتي من العدم، فهو يرتبط بالنماذج التي يرصدها المبدع من خلال واقع الحياة أو ماضيها وعملية خلق النص الإبداعي لا تكتمل فقط بمرور الفكرة وصياغتها على الورق أو سردها

ان ما يميز السرد عند الروائي أمجد توفيق هو أن يجعل المتلقي يهتم بالتجارب الحقيقية ، لا يعطي للحبكة الاولوية بل هو يقدم قصة فتولد احساسا بالحقيقة، وكل هذا يعتمد على ما يملكه من القدرة الداخلية لأسلوبه في السرد الرواية عنده مشروع ودعوة لتأمل الحقوق التي لم تقرها البشرية يوما ،الحق في مناقضة الذات، والحق في الرحيل بمعناه المطلق، والحق في الصمت ما أضيق الطريق .

فقد مزج امجد توفيق بين تيارين في رؤيته للشخصية , مما اوهمنا بواقعية الشخصيات و الاحداث وتاريخها تارة, وتارة أخرى يتجاوز الواقع الى الخيال .ان الشخصيات في الرواية هم كالناس في الحياة ، بدون وجودهم و صراع اراداتهم لا يكون ثمة حياة ، ولا رواية .

المصادر والمراجع

١) ينظر: فن القصة , د. محمد يوسف نجم ، دار بيروت , ١٩٥٩، ص٩٢.

٢) ينظر: فن القصة , د. محمد يوسف نجم ، دار بيروت , ١٩٥٩، ص٩٢.

٣) ينظر: بناء الرواية: ادوين موير, ترجمة إبراهيم الصيرفي، ١٩٦٥، ص٨٢.

٤) ينظر: بناء الرواية: ادوين موير, ترجمة إبراهيم الصيرفي، ١٩٦٥، ص٨٢.

٥) ينظر: اركان القصة , ا . م. فورستر, ترجمة : كمال عياد , ١٩٦٠, ص ٨٣.

٦) الطيور الحرة : ص٤٢,٤٩.

٧) الطيور الحرة : ص١٧

٨) ينظر: خطاب الحكاية , جيرار جينيت , ص ٦١.

٩) ينظر تقنيات السرد في النظرية والتطبيق, ص ٩٩.

١٠)الرواية : برج المطر, امحد توفيق , ص ١٤.

١١)الرواية : برج المطر, امحد توفيق , ص ١٤.

١٢)العيد، يمنى: تقنيات السرد الروائي، ص ٩٧-٩٨ وانظر، الحمداني، حميد: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠، ص٤٥-٤٩

١٣)ينظر: دراسات في الرواية العربية , ايخيل بطرس ,١٩٨٧/ , ص ٩٠.

١٤)وجهة النظر في روايات الأصوات العربية , محمد نجيب _ اتحاد الكتاب العرب _ دمشق , ٢٠٠٠, ص ٩٠.

١٥)ينظر : الرواية : الساخر العظيم.

١٦)رواية طفولة جبل: ص٨.

١٧)٢) ينظر :تقنيات السرد في النظرية والتطبيق , ص ٩٩_ ١٠٠.

١٨)ينظر :تقنيات السرد في النظرية والتطبيق , ص ٩٩_ ١٠٠.

١٩))ينظر: وجهة النظر في روايات الأصوات العربية , محمد نجيب , ص ٩٠.

٢٠))ينظر: تقنيات السرد في النظرية والتطبيق , ص ١٠٠.

٢١)ينظر: الزمن الحكائي في رواية برج المطر للقاص والروائي امجد توفيق , دراسة د. جاسم خلف الياس .

٢٢))ينظر: االخشاب، وليد ، دراسات في تعدي النص، ط١، القاهرة، مصر، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٤م، ص٧٦.

٢٣): نظرية الادب , ويليك داورن , ترجمة محيي الدين صبحي , دمشق ,ص ٢٢٥.

٢٤)ينظر : بنية الشكل الروائي , حين بحراوي , ص ١٢١.

٢٥): المصطلح السردي " معجم المصطلحات , جيرالد برنس , تر: عابد خزندار , مراجعة وتقديم محمد بربري , ط٣, ٢٠٠٣م , ص ٦١, ٨٥.

٢٦) ١ينظر: جوانب من شعرية الرواية ، احمد صبرة ، مجلة فصول ١٩٩٧/٤ القاهرة , ص ٤٦, ٤٧.

٢٧)رواية برج المطر: ص١١.

٢٨)الرواية طفولة جبل, ص١٧.

٢٩)الرواية : ينال , ص ٩, ١٠.

٣٠)ينظر: اركان القصة , ا . م. فورستر, ترجمة : كمال عياد , ١٩٦٠, ص ٨٣.

٣١)ينظر النقد التطبيقي التحليلي ، عدنان خالد عبد الله،ص٧٣.

٣٢) ينظر الشخصية في القصة ، جميلة قيسمون ،ص ١٨ .